الكويت

قراءة في الخرائط التاريخية

أ. د. عبدالله يوسف الغنيم
رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية



مركز البحوث والدراسات الكويتية
ص.ب : ٦٥١٣١ المنصورية
الرمز البريدي : 35652
تليفون : ٢٥٧٤٠٨١/٣
فاكس : ٢٥٧٤٠٧٨
الطبعة الأولى - الكويت ١٩٩٢

تصدير

الكويت .. قراءة في الخرائط التاريخية

الوجود الحضري قديم في منطقة الكويت، فهي حلقة وصل برية وبحرية بين أجزاء العالم القديم. فقد كانت كاظمة محطة للقوافل القادمة من بلاد فارس وما بين النهرين إلى شرق الجزيرة العربية وداخلها، كما كانت جزيرة فيلكا محطة للسفن التجارية التي تصل ما بين رأس الخليج وبقية الأجزاء الجنوبية منه في طريقها إلى عمان والهند وشرق أفريقيا.

وقد كان لهاتين المنطقتين شهرتهما الكبيرة قبل ظهور الكويت دولة محددة السيادة في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وإذا ما تركنا جانباً ذكر جزيرة فيلكا التي عرفت بآثارها اليونانية والإسلامية على حد سواء، وانتقلنا إلى الظهير البري الذي تنتمي إليه تلك الجزيرة لوجدنا أن ذلك الظهير قد تعاقبت عليه ثلاث تسميات أساسية هي كاظمة والقرين والكويت على التوالي.

فقد عرفت هذه المنطقة أولاً باسم كاظمة إلى أواخر القرن السابع عشر، ثم أطلق عليها اسم الكويت أو القرين منذ أوائل القرن الثامن عشر، غير أن اسم القرين ظل هو الأكثر وروداً في الخرائط إلى أواخر القرن التاسع عشر، حيث استقرت تسمية (الكويت) على النحو الذي هي عليه الآن.

اكتسبت كاظمة في العصر الجاهلي شهرة خاصة في أشعار العرب وأخبارها. وفي القرن الثالث الهجري ذكر الحسن

الأصفهانى كاظمة فى كتابه "بلاد العرب" فقال: "وكاظمة على ساحل البحر، وبها حصنٌ فيه سلاح قد أعد للعدو، وبها تُجارٌ ودور مبنية، وعامتهم تميم" (١)

وقد أشارت المصادر العربية القديمة إلى أن كاظمة كانت قصبة أو عاصمة للإقليم المسمى بهذا الاسم، وتتسع مساحتها لتتضمن منطقة تمتد من الأجزاء الشمالية الغربية لجون الكويت إلى مدينة الجهراء الحالية، كما أن من الثابت أن كاظمة تطلق على معظم المنطقة التى تمثلها الكويت الحالية، ويؤكد ذلك قول ياقوت الحموى الذى اعتبر الساحل الممتد من منطقة البدع إلى الحدود الجنوبية لدولة الكويت الآن، والذى يسميه أهل البحر "بر العدان" .. اعتبر ذلك كله من أسياف كاظمة، وذلك هو قوله فى "معجم البلدان" : "وعَدان بالفتح وآخره نون موضع فى ديار بنى تميم بسِيف كاظمة"، فالاسم إذن كان يُطلق على أجزاء واسعة من منطقة الكويت، وفى نفس الوقت تسمى به القصبة أو العاصمة الواقعة عند الطرف الشمالى الغربى لجون الكويت.

وقد ظهرت كاظمة على الخرائط الملاحية العالمية وفى الأطالس المختلفة قبل اسم "القرين" أو الكويت.

ويرى سلوت فى كتابه "أصول الكويت" أن خارطة نيكولاس سانسون (*N. Sanson*) المنشورة عام ١٦٥٢م هى أول خريطة يظهر فيها اسم كاظمة، ولم يكن موقعها محدداً تماماً إذ رسمت بعيداً عن الشاطئ، وهناك

(١) الحسن بن عبد الله الأصفهانى: بلاد العرب، تحقيق الشيخ حمد الجاسر، الرياض: ١٩٦٨م، ص: ٣٢١، ويراجع أيضاً كتاب: "كاظمة فى الأدب والتاريخ" ليعقوب يوسف الغنيم، القاهرة، المطبعة السلفية ١٩٥٨م وفيه بحث تفصيلى عن كاظمة فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام.

حد سياسى واضح فى هذه الخارطة يفصل بينها وبين البصرة، ثم ظهرت طبعة أخرى من خارطة سانسون فى عام ١٦٥٤م صحح فيها موقع كاظمة إذ اقترب من الساحل، وأول خارطة هولندية وضعت فيها كاظمة كميناء رئيسى على الساحل رسمها الكارتوغرافى اسحاق تيريون (*Isaak Tirion*) عام ١٧٣٢م، وظهرت بعد ذلك فى عدد من الخرائط منها خريطة الأخوين أوتنز (*R. and J. Ottens*) وخرائط الناشر الألمانى هومان (*J.B.Homann*) وكلها صدرت عام ١٧٣٧م. (٢) وفى خرائط الكارتوغرافى الفرنسى بون (*Bonne*) الذى نشر مجموعة من الخرائط عن الخليج بين عامى ١٧٦٠م و ١٧٨٠م ظهرت فيها كاظمة ويقابلها جزيرة فيلكا.

ومع أواخر القرن السابع عشر بدأ اسم كاظمة يفقد أهميته كميناء عرفت به هذه المنطقة فى القرون السابقة. وبدأ يحل محله موقع آخر قريب منه هو القرين، وهو الاسم الذى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنشأة دولة الكويت الحديثة. ولم يحدد المؤرخون على وجه الدقة تاريخ ظهور هذه المدينة، إلا أنه من المؤكد أن لنشأتها صلة بهجرة العتوب الذين توافدوا عليها فى أواخر القرن السابع عشر، ومع بداية القرن الثامن عشر تحولت تلك القبائل إلى مجتمع حضرى له كيان سياسى واضح، ويؤيد ذلك ما جاء فى رحلة السيد مرتضى بن علوان الذى زار الكويت عام ١٧١٠م فقد قال: "دخلنا بلداً يقال لها الكويت بالتصغير، بلد لا بأس بها تشابه الحسا إلا أنها دونها ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها"، ثم قال بعد ذلك: "وهذه الكويت المذكورة اسمها القرين ومشينا قبل وصولنا إليها على كنار البحر ثلاثة أيام والمراكب مسايرتنا، والمينة على حدود البلدة من غير فاصلة. وهذه البلدة يأتيها سائر

(٢) *Slot, B. J. (1991): The Origins of Kuwait, P. 40, 43, 44, 53, 54.*

الحبوب من البحر حنطة وغيرها، لأن أرضها لا تقبل الزراعة، حتى ما فيها شيء من النخيل ولا غير شجر أصلاً وأسعارها أرخص من الحسا". (٣)

ويرى السيد واردن (*Warden*) فى مقال له عن العتوب أن أول رئيس لآل صباح كان يتولى الحكم عام ١٧١٦م وإذا صح ما ذكره يوسف القناعى وعبدالعزيز الرشيد عن تاريخ وفاة الشيخ محمد بن فيروز (١١٣٥ هـ / ١٧٢٢م) الذى تولى القضاء فى عهد صباح فإن القرائن جميعاً تؤكد أن بداية ظهور شخصية الكويت السياسية تحت حكم آل صباح، لابد أن تكون فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر. وهذا الحكم يستدعى مراجعة البحث فى هذا الموضوع وعدم التسليم بما ذكره أبو حاكمة من أن أول حاكم للكويت هو صباح بن جابر الذى تولى الحكم فيها عام ١٧٥٢م. (٤)

---

(٣) مرتضى بن علوان: رحلة بدون عنوان، دون فيها الكاتب رحلته إلى الحج ثم إلى الاحساء ومنها إلى الكويت عائداً إلى بلاده (مخطوطة ضمن مجموع فى مكتبة برلين، رقم ٦١٢٧) وقد نشر الدكتور عبدالله الصالح العثيمين مقتطفات منها فى كتابه "العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت" الرياض: ١٤١١هـ.

(٤) أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ الكويت الحديث (١٧٥٠-١٩٦٥م) الكويت ١٩٨٤م، ص: ٢٧، ونشير هنا إلى أن أبو حاكمة يشكك فى صحة رواية "واردن" الذى يقول (ص: ٣٦) بأن أول رئيس لآل صباح هو سليمان بن أحمد الذى كان يتولى الحكم فى سنة ١٧١٦م (*Bombay Selections, XXIV. 362*)، ويرى أن سليمان هذا هو "سليمان بن محمد آل حميد" أمير بنى خالد من سنة ١٧٣٦ حتى ١٧٥٢م، وإذا سلمنا بأن الاسم محرف فإن التاريخ الذى حكم فيه سليمان ابن محمد هو غير التاريخ الذى ذكره السيد واردن، كما أن الأخير لم يكن الوحيد الذى أشار إلى عام ١٧١٦م كبداية لحكم أسرة آل صباح بل يشاركه عدد من موظفى حكومة بومباى الانجليز، وهذا ما ذكره أبو حاكمة نفسه فى ص: ٢٥، وعليه فإن من الواجب إعادة النظر فى القول بأن أسرة الصباح قد تولت الحكم فى منتصف القرن الثامن عشر.

وإذا ما انتقلنا إلى بحثنا الأساسى وهو ظهور اسم القرين على الخرائط، فإن أول خريطة ورد فيها اسم القرين هى خريطة كيلن (*Van Keulen*) عام ١٧٥٣م، وظل هذا الاسم يتردد فى الخرائط - مقروناً أحياناً باسم الكويت - إلى نهاية القرن التاسع عشر، حيث بدأ هذا الاسم يختفى تدريجياً ليحل محله اسم الكويت فى نهاية هذا القرن. إلا أن ذلك لا يعنى أن القرين هى الاسم الأقدم للكويت، فقد سبق أن أشرنا إلى نص مرتضى بن علوان الذى يوضح أن الكويت اسمها القرين وكان ذلك فى عام ١٧١٠م كما أن اسم الكويت ورد فى خريطة كارستن نيبور (*C. Niebuhr*) الذى بدأ رحلاته فى الجزيرة العربية عام ١٧٦١م، وفى خريطته الواردة فى كتابه عن تلك الرحلات ذكر اسم الكويت مقروناً بالقرين، وأشار إلى أن مدينة القرين يطلق عليها أهلها اسم الكويت.

وفى هذا العمل الذى بين أيدينا محاولة للنظر فى وضع الكويت فى الخرائط التاريخية من خلال المصادر التاريخية المعتمدة، وكُتب الأدب والتاريخ والتراث بعامة التى وجدنا بها نصوصاً واشارات تتصل بالموضوع لتكون النظرة الشاملة - ما استطعنا - المدخل الذى نتبناه فى قراءة وتفسير ما عرضناه من خرائط أو ما توصلنا إليه من معلومات وتوجهات والسبيل المتوازن فى التدقيق والترجيح بين وجهات النظر المختلفة حول هذه الفترة المبكرة من حياة الكويت.

وقد توجهنا فى هذا الكتاب على السير وفقاً للتسلسل الزمنى الذى وردت فيه تلك الخرائط، حريصين على أن يرافق كل خارطة قراءة مفسرة لما جاء فيها من بيانات ومعلومات تيسيراً على الباحثين والقارئين ولتحقيق أقصى استفادة ممكنة.

وفي ختام هذا العرض نود أن نشير إلى أن هذا العمل قد أفدنا فيه من الجهود السابقة التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والدراسة وقد سعينا - قدر ما وفقنا الله - إلى استقصاء الحقيقة باذلين كل جهد ممكن ليكون هذا العمل إضافة لما كُتب ونُشر عن هذه الفترة من حياة الكويت وتاريخها.

وأخذاً بهذا النهج رجعنا إلى دراسة سلوت عن أصول الكويت (B.J. Slot: The Origins of Kuwait)، وهو جهد علمي يستحق كل تقدير لما تميز به من استقصاء وافٍ، ودقة علمية، وموضوعية متزنة، كما أفدنا من مجموعة الخرائط التي توصلنا إليها ولم ترد في كتاب سلوت، ونشير هنا بمزيد من الامتنان والشكر إلى الأستاذ عادل العبد المغني الذي تكرم فأهدى المركز صوراً لمجموعة من الخرائط المتعلقة بالموضوع والتي استعنا ببعضها. ونذكر بالتقدير والعرفان الأستاذ سليمان الصالح الذي زودنا بنسخة من الدليل العراقي لعام ١٩٣٦م الذي استفدنا كثيراً من المعلومات والخرائط الواردة فيه.

داعين الله أن يكون هذا الجهد بداية لجهود متواصلة متتالية تقوم بحق الكويت علينا، وتؤكد للأجيال والتاريخ الكيان المتميز لهذه الرقعة من الوطن العربي، التي كانت ولا زالت عوناً لجيرانها وللعالم العربي والاسلامي، لا تنقطع دعوتها إلى السلام والتعاون مع الجميع.

والله ولي التوفيق

أ.د عبدالله يوسف الغنيم

هذه الخريطة من أوائل الخرائط التى رسمت للمنطقة (1596م) ويظهر فيها شمال منطقة الكويت وادى الباطن، والاسم الوحيد البارز فى الخريطة هو جزيرة داجوادا "I. Dagoada " أو أجوادا كما ظهرت فى خرائط تالية، ويُقصد بها جزيرة الماء، ويُلاحظ عناية رسامى الخرائط فى ذلك الوقت بتزيينها بالصور والنقوش.

وهذه الخريطة معتمدة فى الغالب على الخرائط البرتغالية، فقد كان راسمها يعمل فى شركة الهند الشرقية الهولندية ورأى هذه الخريطة فى "جوا Goa" مع أحد الكارتوغرافيين وقد قام بنشرها فى كتابه بعد عودته إلى هولندا.

خريطة الجزء الغربى من آسيا نشرها جان لنشوتن (J. H. Linschoten) فى هولندا عام 1596م وهى محفوظة فى أرشيف مكتبة الدولة العامة فى هولندا. (Slot, 14)

نُشرت هذه الخريطة ضمن كتاب علم الأرض لريتر، وتعتبر بذلك من أوائل الخرائط فى القرن التاسع عشر التى حددت الكويت تحديداً واضحاً يؤكد شخصيتها وكيانها السياسى، بل إنها تشكل وجوداً متميزاً فى الجزء الشمالى الشرقى من شبه الجزيرة العربية.

ومن الواضح فى هذه الخريطة دخول الفاو والسواحل الشمالية الغربية للخليج العربى ضمن دائرة الحدود الكويتية. وذكرت فى هذه الخريطة كاظمة فى موقع مدينة الجهراء، ووقع مكان المدينة بالقرب من راس الزور وسمّاها "الكويت أو القرين". وقد تابع ريتر عدد من رسامى الخرائط هذا الاتجاه.





خريطة الجزيرة العربية رسمها الجغرافى الفرنسى نيكولاس سانسون (N. Sanson) ونُشرت عام 1652م وقد أوردها سلوت فى كتابه منوهاً إلى أنها من مجموعة الدكتور سلطان بن محمد القاسمى.

خريطة نادرة تظهر الكويت بحدود واضحة تمتد شمالاً لتشتمل على الفاو والأجزاء الجنوبية من شط العرب وكل الساحل الجنوبى للعراق بامتداد يزيد على عشرين ميلاً فى بعض المناطق وقد رُسمت الجزر المواجهة للساحل الكويتى بنفس لون الكويت.



ويأتى جانب الندرة فى هذه الخريطة أنها من أوائل الخرائط التى ظهرت فى القرن التاسع عشر والتى تحمل اسم مدينة الكويت بدلاً من "القرين". كما أن الدولة تحمل اسم "جمهورية الكويت" وهذا يرجع علم واضع الخريطة بأسلوب الحكم فى الكويت، وربما توصل إلى ذلك بأن سأل الناس فى هذه المنطقة عن كيفية تعيين الحاكم، فقالوا بأننا الذين اتفقنا عليه، ثم سأل عن أسلوب الحكم فعرف أنه شورى بينهم، فسماها "جمهورية الكويت".

ومن الملفت للنظر والذى يؤكد تميز شخصية الكويت واستقلاليتها، أنها الكيان السياسى الوحيد المحدد بحدود واضحة فى الجزيرة العربية كلها، كما إنها مُيزت بلون خاص يختلف عن ألوان الكيانات السياسية المجاورة وخصوصاً (تركيا).

خريطة توضح الجزيرة العربية وأجزاء من آسيا، وقد نشرها الكسندر جونستون (A. K. Jonston) (1803-1871) ضمن أطلسه الكبير الذى صدر فى أدنبره بالمملكة المتحدة عام 1874م وذلك بعد وفاته بثلاثة أعوام. ويعتبر جونستون من أبرز الكارتوغرافيين فى النصف الأول من القرن التاسع عشر.



تُبين هذه الخريطة أن الكويت جزء من الجزيرة العربية ولا علاقة بها بالوحدات السياسية المجاورة وقد أخذت جزيرتا وربه وبوبيان وفيلكا نفس لون منطقة الكويت. أما الحدود الشمالية للكويت فتبدأ من نقطة التقاء خور الزبير بخور عبدالله ثم تتجه شمالاً بشرق فى انحراف واضح إلى الشمال من الحدود الكويتية الحالية.

خريطة ألمانية طُبِعَتْ فى شتوتجرت فى القرن التاسع عشر توضح الحدود السياسية لايران وتركيا.

خريطة فريدة تبين امتداد الكويت إلى داخل العمق العراقى، وواضح أن لون الجُزر والأراضى الكويتية يختلف عما جاورها من الوحدات السياسية. وقد ذكرت الكويت المدينة جنوب الجون أما ميناء كاظمة فيحتل مكانه على رأس الجون من جهة الشمال أما الكويت الدولة فقد كُتبت بخط عريض ممتد مع امتداد الشريط الأصفر الذى يمثل مناطق النفوذ الكويتى. والخريطة وإن كانت تفتقر إلى الدقة إلا أنها مؤشر واضح لكيان الكويت وامتداده.



خريطة الجزيرة العربية، وقد وردت فى أطلس (Harmsworth's New Atlas) وهو غير مؤرخ، ويعتقد أنه يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر.



خريطة تفصيلية، وإن كانت أسماء الأماكن المذكورة كثيرة التحريف، وقد وضعت كاظمة فى موقع الجهرة الحالية وفى موقع الكويت القديمة اسم "قرين أو كويد" وأشارت إلى الساحل الجنوبى باسم العدان. وقد ميزت منطقة الشق، وهو الوادى الذى تسير فيه الحدود الكويتية.

ويُلاحظ بوضوح خط الحدود الشمالية، فهى تبدأ من نقطة التقاء خور الزبير بخور عبدالله ثم تنحرف شمالاً، وجمعت بوبيان وورية فى لون واحد مماثل للون منطقة الكويت وبقية الجُزر الكويتية.



خريطة الجزيرة العربية رسمها ادوارد ويلر (E. Weller) ونَشِرت فى انجلترة، وهى من خرائط القرن التاسع عشر.



تبدأ الحدود الكويتية الشمالية فى هذه الخريطة من عند التقاء خور عبدالله بخور الزبير، وهى البداية التى تكررت فى عدد من الخرائط التى أعدت فى أواخر القرن التاسع عشر بعد أن كانت الحدود تتضمن الفاو وجميع الساحل الجنوبى للعراق وتبدو شخصية الكويت واضحة ومميزة بالنسبة للشمال. أما بالنسبة للجنوب فنجد أن الحد موضح باللون الأصفر الغامق وذلك قبل أن يتم الاتفاق على الحدود.

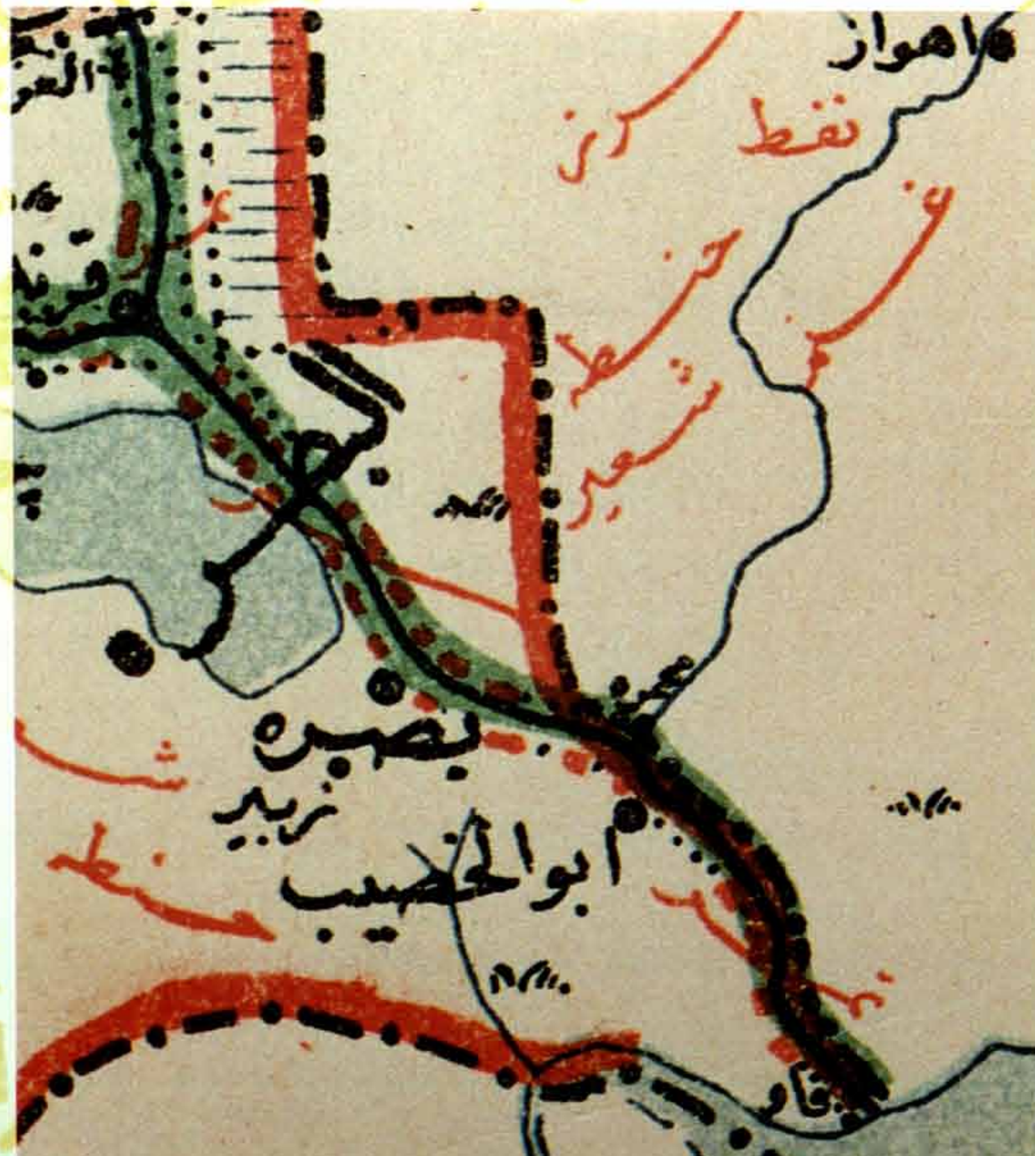
وقد اختفى هنا اسم القرين أو كاظمة ولم تُذكر سوى مدينة الكويت وظهرت الجزر بوبيان وفيلكا بنفس لون الكويت.

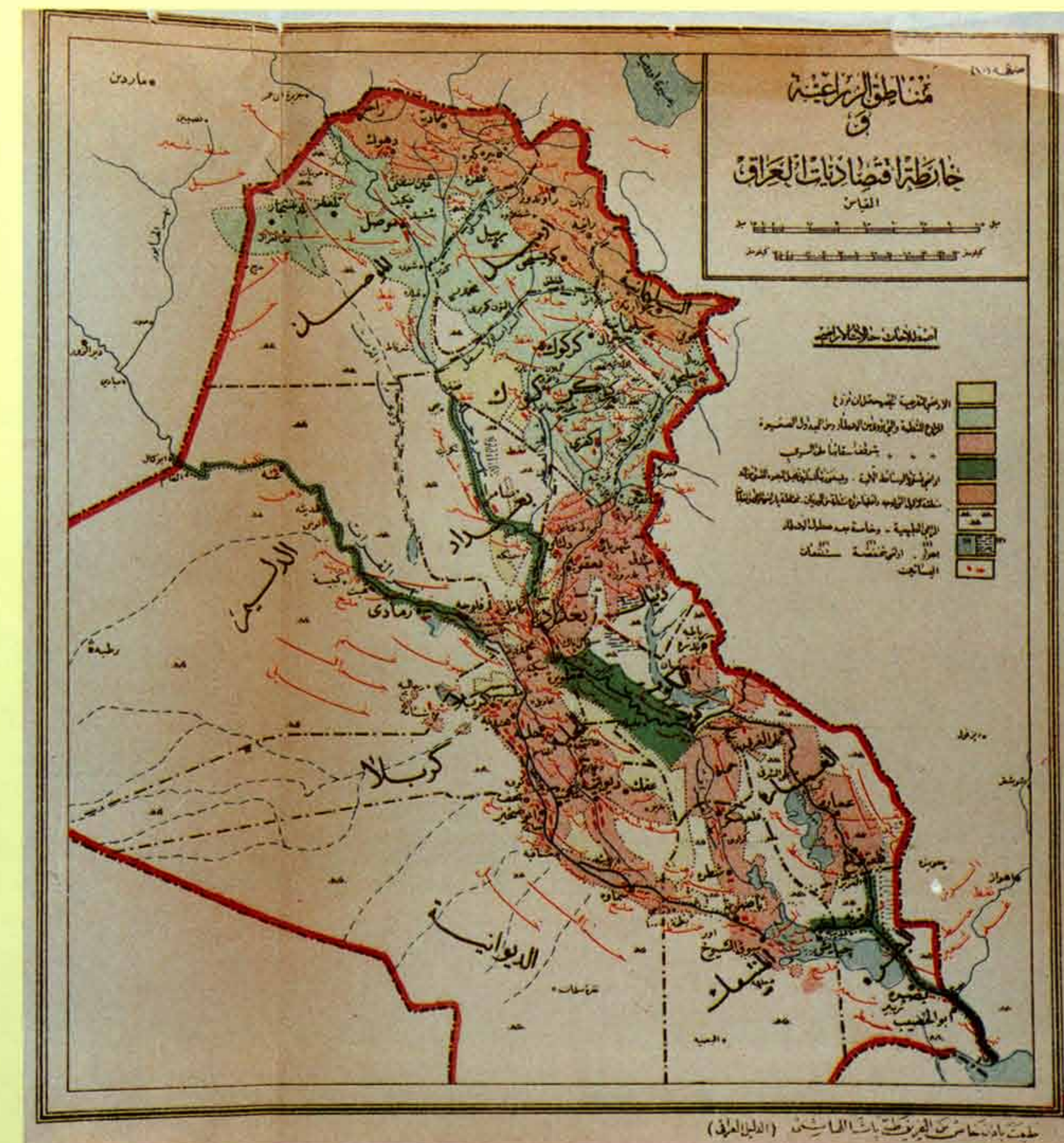


خريطة آسيا السياسية، مأخوذة عن أطلس "التايمز Times Atlas " لوحة 49 وضعها معهد أدنبرة الجغرافى بالمملكة المتحدة فى أواخر القرن التاسع عشر.

الجزء الجنوبى من خريطة العراق الواردة فى الدليل العراقى لعام 1936م وتتضح فى هذه الخريطة الحدود الكويتية العراقية البرية والبحرية واضحة فى أسفل الخريطة. ويتضمن الدليل المذكور اعترافاً واضحاً بأن الكويت لم تكن فى يوم من الأيام تابعة لولاية البصرة، كما يعترف بالحدود الكويتية العراقية الموصوفة فى الرسائل المتبادلة بين حكومتى البلدين عام 1932م.

أما عن العبارة المكتوبة تحت الخريطة فهى أيضاً تؤكد اعتراف كبار المسئولين العراقيين بالحدود الكويتية الشمالية. فالفريق طه الهاشمى كان رئيس أركان الجيش العراقى فى عهد الملك غازى، وله مؤلفات كثيرة فى جغرافية العراق، منها جغرافية العراق العسكرية، ومفصل جغرافية العراق وأطلس العراق، وغيرها. وهو بذلك حجة من الحجج التى يمكن الركون إليها. ولو كان فى عهد الملك غازى أى تحفظ رسمى على استقلال الكويت وكيانها - كما يزعم النظام العراقى الحالى - لكان رئيس أركان الجيش أولى الناس بتطبيق ذلك.





خريطة تمثل المناطق الزراعية واقتصاديات العراق، وردت فى كتاب الدليل العراقى (ص: 783) وهو السجل العراقى الرسمى لعام 1936م.

المراجـع

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ الكويت الحديث (1750-1965م)، الكويت: 1984م

2- الحسن عبدالله الأصفهانى: بلاد العرب، تحقيق الشيخ حمد الجاسر، الرياض: 1968م.

3- الدليل العراقى: وهو الدليل الرسمى الموثق للعراق لعام 1936م.

4- عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، بيروت: 1978م.

5- عبدالله الصالح العثيمين: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت: 1411هـ.

6- مرتضى بن علوان: (رحلة بدون عنوان) مخطوط محفوظ بمكتبة برلين رقم (6127).

7- يعقوب يوسف الغنيم: كاظمة فى الأدب والتاريخ، القاهرة: 1958م.

8- يوسف بن عيسى القناعى: صفحات من تاريخ الكويت، الكويت: 1987م.

9- Slot, B.J. (1991) The Original of Kuwait.

بالإضافة إلى عدد من الأطالس التاريخية والمراجع الأخرى.

فهرس الخرائط